الجديد في ترجمة ابن عادل الدمشقي الحنبلي صاحب تفسير اللباب من علوم الكتاب

تأليف

د. مرهف عبد الجبار سقا

دار إحياء للنشر الرقمي

الجديد في ترجمة ابن عادل الدمشقي الحنبلي
صاحب تفسير اللباب من علوم الكتاب

تأليف

د. مرهف عبد الجبار سقا

الأستاذ المساعد في كلية التربية – جامعة المجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد :

فهذه دراسة لترجمة ابن عادل الدمشقي الحنبلي صاحب تفسير اللباب من علوم الكتاب، كنت قد اشتغلت فيها لأجل إنجاز رسالة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من جامعة أم درمان، إذ كانت الرسالة في تحقيق جزء من تفسير ابن عادل، وقد من الله علي أن كان المشرف شيخنا الجليل المحقق المحدث المفسر العلامة نور الدين عتر حفظه الله، فقد كانت له اليد البيضاء في اختيار هذا التفسير والدلالة على مخطوطاته والحصول عليها وتقسيمها بين طلاب الدراسات العليا في مرحلة الماجستير في تخصص التفسير وعلوم القرآن.

لقد كان الغرض وقتها من تحقيق التفسير - بالإضافة إلى إخراج التفسير للنور - ؛ إظهار جهد الحنابلة الدمشقيين في التفسير، وأن يتعرف طلاب العلم على طريقتهم في

الاستدلال على مذهبهم الحنبلي من القرآن كما تعرفوا على طريقة الحنفية والشافعية في كتب أحكام القرآن لدى الحنفية والشافعية، ولكن كان مما تفاجأنا به أن ابن عادل في تفسير كان ناقلاً للآراء الفقهية والتفسيرية وغيرها ممن سبقه من المفسرين كالرازي والقرطبي والسمين الحلبي..الخ، ولا ينتصر لمذهبه الحنبلي في تفسيره ولا يظهر طرق استدلال الحنابلة على المذهب في آيات الأحكام.

كما تفاجأنا في أثناء دراسة تفسير ابن عادل بعدم وجود ترجمة تنبئ عن شخصيته بشكل صريح ، فكان ذلك محل تحد وتسابق لإظهار الجديد الذي يكشف عن هذا العالم.

وقد كتبت عدة مقالات وأبحاث عن ابن عادل الحنبلي رحمه الله وأقدمها للعلامة المحقق المحدث المؤرخ الشيخ راغب الطباخ رحمه الله بعنوان (ترجمة مفقودة) وكان بحثه أول من سلط الضوء على ابن عادل وتفسيره ومخطوطاته ولكن ما ذكره من نقاط حول ترجمة ابن عادل بحاجة لتأكيد أو بيان وقد حث الشيخ راغب رحمه الله في آخر

بحثه على تقصي ترجمة ابن عادل والكشف عنها، فكان المحفز لي بأن آتي بما يزيل الغموض ويأتي بالجديد فكان هذا البحث ولعله يفتح الطريق لمن يبحث من أخواني من طلاب العلم الباحثين ليستكمل المشوار فيأتي بما يشفي الغليل.

وكنت قد كتبت مختصرا من رسالتي الماجستير عن سيرة ابن عادل الدمشقي في موقع أهل التفسير عام ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م، ولكن ومع مرور الزمن كثرت عناية الأخوة الباحثين في تخصصات متعددة بتفسير ابن عادل فصارت تتوارد إلي رسائل منهم تطلب البحث للاطلاع على الترجمة كاملة والمراجع التي رجعت لها، ونظرا لذلك رأيت أن أفرد ترجمة ابن عادل من رسالتي الماجستير بمؤلف خاص ونشره ليتسنى للأخوة الباحثين الرجوع إليه وتصويبه، فقمت باجتزائه والتعديل على بعض عبارات فيه واختصار دراسة

---

١. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد العشرون: (١٣٦٤هـ- ١٩٤٥م). وينظر: " الثقافة الإسلامية" للطباخ ص١٤٤-١٤٥

العصر لعدم أهميتها للأخوة الباحثين لأن المراد منها التعريف فقط.

فهذه الترجمة إذن مأخوذة من قسم الدراسة من رسالتي الماجستير والتي بعنوان: [اللباب من علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي الحنبلي (دراسة وتحقيق جزء منه: الحجر - النحل - الإسراء)] وكانت الرسالة في ثلاثة أجزاء: (١٤٠٠ صفحة)، وقد أكرمني الله تعالى بتقدير ممتاز وذلك عام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

وبعد:

فإني لا أدعي القطع بما توصلت إليه من نتائج في بحثي وإن كان هذا راجحا عندي وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، فما وجدت فيه من صواب فمن توفيق الله، وما وجدت فيه غير ذلك فأستغفر الله من تقصيري، وادع لي يا أخي بالسداد، وقومه في بحثك مع الدليل.

مرهف سقا

الفصل الأول

دراسة عصر ابن عادل من النواحي الثلاث:

أولاً: الناحية السياسية.

ثانياً: الناحية الاجتماعية.

ثالثاً: الناحية العلمية.

التعريف بعصر المؤلف ابن عادل:

عرف العصر الذي عاش فيه ابن عادل بعصر المماليك، وهم الملوك الأتراك الذين كانوا في الأصل عبيدا وخدما عند الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل (٦٠٣-٦٤٧) هـ، وهو بدوره قوى نفوذهم وجعلهم أمراء دولته وخاصته، وبطانته والمحيطين بدهليزه إذا سافر، وسماهم البحرية، وأكثر من شرائه لهم ؛ كل ذلك عرفاناً منه بجميلهم عليه عندما فارقه الأكراد؛ لما سجنه الناصر داود صاحب الكرك، وإسماعيل ابن العادل في سنة (٦٣٦-٦٣٧) أشهراً بالكرك، وبقي مماليكه الأتراك وهم نحو الثمانين، وطائفة نحو العشرين ينتظرونه حتى خرج من السجن في رمضان سنة (٦٣٧) هـ، فالتفوا حوله وناصروه، فعظمت مكانتهم عنده، ورعى لهم ثباتهم معه حين تفرق الأكراد وكان ذلك ابتداء أمرهم[١]

١. انظر المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي المقريزي ٢/٢٣٦ ط دار صادر، والعبر في أخبار من غبر لشمس الدين الذهبي ٣/٢٢٦، ٢٢٩، ٢٥٧، ط دار الكتب العلمية.

- الناحية السياسية.
- الناحية الاجتماعية.
- الناحية العلمية.

أولاً: الناحية السياسية:

قسم الباحثون عصر المماليك إلى قسمين رئيسيين[1]:

الأول: عصر *القوة والتقدم والحضارة*، وهو عصر حكم دولة المماليك البحرية، من سنة ٦٤٨ إلى ٧٨٤هـ، وتعاقب على الحكم في هذه الفترة خمسة وعشرون سلطاناً.

الثاني: عصر *التقهقر والضعف والانحطاط* الذي انتهى بحكم العثمانيين لبلاد الشام ومصر، وهو عصر حكم المماليك الجركسية (البرجية)، من سنة ٧٨٤ إلى ٩٢٣ هـ، وتعاقب على الحكم في هذه الفترة ثمانية عشر سلطاناً.

بيد أن الناظر في تاريخ المماليك يجد أن الخلفاء

---

١. انظر: الوثائق السياسية لحمادة صـ٧، وابن حجر ودراسة مصنفاته ١/٤٧،٤٨.

العباسيين في الفترتين ؛ لم يكن لهم إلا الاسم فقط؛ أما تقسيم الجيوش، وإقامة المراكز، وتنصيب القضاة، وغير ذلك من أمور الحكم؛ كان بيد السلطان المملوكي، وأما عمل الخليفة العباسي: إنما هو إسباغ الشرعية على حكم السلاطين والأمراء المماليك التابعين لهم، أو حتى ملوك الإسلام من أصدقاء دولتهم، بل تعدّت سلطة المماليك إلى أكثر من ذلك؛ فإن للسلطان المملوكي أن يعزل الخليفة من الاجتماع بالناس متى شاء، وله سجن الخليفة متى شاء وإطلاقه، وكذلك يسمح له بالخطبة على المنبر متى شاء[1].

ولم تكن سيطرة المماليك على مراكز الحكم في مصر فقط، وإنما الحال كذلك في بلاد الشام فقد كان المماليك يسيطرون على المراكز ذات الصبغة القيادية والعسكرية، أما باقي الوظائف ذات الصبغة الكتابية: كالقضاء

---

١. انظر: الوثائق السياسية لحمادة صـ١٥ و١٧، والإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن، رسالة دكتوراه، د٠محمد يوسف الشربجي، الجمهورية التونسية، جامعة الزيتونة ١٩٩٢ ـ١٩٩٣، ١/٢٧، وانظر على سبيل المثال كتاب: التيسير و الاعتبار و التحرير و الاختبار فيما يجب من حسن التدبير و التصرف و الاختيار لـ محمد بن محمد بن خليل الأسدي من ص ٦٨ إلى ص٧٨، ت عبد القادر أحمد طليمات ط دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦٨.

والخراج والنظر على الأوقاف والحسبة وغير ذلك ؛ فكان يستلمها ما عرف في زمانهم بـ (المتعممين)، وهم علماء الشريعة[1].

ومما تميز به عصر المماليك: كثرة الاضطرابات والفتن والانقلابات، حتى كانت سلطنة أحدهم أياماً معدودة، ومنهم اشهراً، ثم يخلع، أو يقتل، أو يسجن.

ثانياً: الناحية الاجتماعية:

إن ما مر بيانه عن حالة المماليك السياسية لا ضير كان له الأثر البالغ على حالة المجتمع الذي يحكمه المماليك في مصر وبلاد الشام، فقد كثرت الفوضى والأوجاع الخلقية والجسدية، عداك عن الغلاء وعموم البلاء، وتفشي الرشوة في طبقات المجتمع، حتى أن الولاة والقضاة في بلاد الشام ومصر خاصة صاروا يولون العمال بالمال، وصار كل ظالم ينتمي إلى عين من الأعيان أو ركن من الأركان حتى يدفع عنه من يشتكي عليه، وكان الإسراف والبذخ طابع حياة المماليك وعيشتهم في المناسبات

١. انظر: دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، أكرم حسن العلبي صـ٣١٢ ط: الشركة المتحدة، أولى ١٤٠٢.

والولائم[1]، حتى أصيب المماليك في أواخر أيامهم بالعقم والعجز فانحطوا وكانوا السبب في تسليم البلاد للعثمانيين[2].

هذه هي حال المجتمع في عصر المماليك بشكل عام، وقد كان أصحاب العلوم الشرعية والأدباء والكتاب ....يحظون باحترام المماليك وإجلالهم، فكان المماليك يقربونهم ويسلمونهم المناصب الإدارية والدينية، بل وكان لهم الدور الكبير في مساندة السلطة، وكانت لهم حياة هانئة ورغيدة، وتم لهم ذلك إلى أن انهار الأمن في عصر الجراكسة، وتحللت الدولة فتغير موقف المماليك منهم وتعرضوا لهم[3].

ثالثاً: الناحية العلمية:

يعد العصر المملوكي - من الناحية العلمية - امتداداً للعصر العباسي بحضارته الإسلامية[4]، وورثت مصر

---

١. الأدب المملوكي ١/٥٤ وانظر الأمثلة أيضاً فيه على ذلك.
٢. انظر التيسير والاعتبار ص٩٥، ٩٦
٣. انظر: السيوطي وجهوده في علوم القرآن ١/٤٢، السيوطي وجهوده في الحديث ص٤٢ وبعض مظاهر الحياة في عصر المماليك ص١٥، ١٦، والعلبي ص٩١.
٤. العلبي ص ١٥٩.

العراقَ في الزعامتين الدينية والسياسية للعالم الإسلامي، كما عقد لها لواء الزعامة الفكرية والحضارية[1]، وكان للقاهرة أهمية علمية بالغة، فقد كانت مركز الثقل الفكري والعلمي بجلال مدارسها وكثرة شيوخها المبرزين، وكانت عامرة بدور العلم والعلماء والمكتبات، واهتم الناس بالكتب اهتماماً يسترعي الانتباه، وغصت الأسواق بالوراقين[2]، ولم تكن الحال أقل شأناً في دمشق، فقد كانت عاصمة بلاد الشام، وكانت عامرة بالمدارس الكبرى كمدرسة دار الحديث الظاهرية ودار الحديث الأشرفية بجوار قلعة دمشق، والناصرية البرانية بسفح جبل قاسيون، وغير ذلك من المدارس العامرة، وكان الجامع الأموي حافلاً بالدروس، معَمَّراً بالعلماء، حتى غدت دمشق قبلة العلماء وطلبة العلم يؤمونها من كل مكان، وارتفع مستوى التعليم عالياً[3].

---

١. الأدب في عصر المماليك ١/ ١٠٦.
٢. انظر: الأدب في عصر المماليك ١/١٠٨، ١٠٩
٣. انظر: الأدب في عصر المماليك ١/١٠٩ و١١٩-١٢٠، وابن حجر ودراسة مصنّفاته ١/٥٠، وعصر جلال الدين

كما أن حركة التأليف انتعشت، وظهرت الموسوعات العلمية الكبرى في شتى المجالات، من الفقه والحديث والتفسير والأدب والنحو والتاريخ، وعلوم الطب والهندسة والفلك والكلام والجغرافيا والسياسة والإدارة .....

وكان العالم لابدّ وأن يشارك في شتى العلوم، ولاينبغي أن يجهل علماً، فكانت سِمَة العلماء عدم التخصص في علم معيّن[1].

وبرز في ذلك علماء موسوعيون في مصر والشام، فكان منهم على سبيل المثال عز الدين ابن جماعة؛ فقد كتب في علوم القرآن والحديث والفقه والسيرة والتفسير والنحو والتاريخ والطب والفروسية، وأسهم في معرفة المنطق والهيئة والحكمة والرمح والنشاب وصناعة النفط والكيمياء، وغيرها من العلوم؛ وكأنه دائرة معارف كاملة.

ومن الموسوعيين ابن قيم الجوزية، والصفدي، وغيرهم كثير لا يسع هذا المقام ذكرهم، ولكن نذكر ممن برز في

---

١. انظر العلبي ص١٦٠، وابن حجر ودراسة مصنفاته ١/٥١، والسيوطي ومباحثه اللغوية، مصطفى الشكعة من ص٤٥ إلى صـ ٤٩.

في التفسير وعلوم القرآن في دمشق من العلماء:

- أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ت سنة ٧٢٨ هـ، الإمام العلامة الفقيه الناقد المفسر، أقبل على التفسير وبرز فيه وله مقدمة التفسير المشهورة، إضافة لبراعته في باقي الفنون[١].

- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ابن عمر ابن كثير القرشي الدمشقي ت سنة ٧٧٤ هـ، الإمام العلامة الحافظ الفقيه المفسر المؤرخ الناقد، صاحب التفسير المشهور الذي تناقله الناس ونفع الله به وله أيضاً فضائل القرآن[٢].

- أبو الخير محمد بن محمد المعروف بابن الجزري الشافعي الدمشقي ت سنة ٨٣٣ هـ الإمام المقريء المقدم في فن القراءات عمّر مدرسة دار القرآن للقراء، و أقرأ الناس، له النشر في القراءات العشر، وغاية النهاية في طبقات القراء.

---

١. انظر ترجمته: البداية والنهاية ١٤/١٦٣، وطبقات المفسرين للداودي ١/٤٦.
٢. انظر ترجمته: طبقات الداودي ١/١١١.

ولكن رغم هذا النشاط والانتعاش العلمي ؛فإنه كان من حيث الكم والعدد، أما من حيث الكيف والمضمون ؛فإنه كان هزيلاً ضعيفاً[1] ومع ذلك فإنه امتاز بأمور نجد فيها الرد الكافي إن شاء الله على من نفى الإبداع في عصر المماليك؛ أوجزها بالآتي[2]:

١) حفظ (التراث) الفكري السابق، واعتمادها على كتب تعد مفقودة في الوقت الحاضر.

٢) معالجتها لمشكلات حياتية مستجدة.

٣) الاجتهاد في العلوم الدينية لمواجهة ما طرأ على الحياة من امتزاج الثقافات، وتبدل الأوضاع.

٤) تصويب هفوات المصنفين القدامى، وبروز النقد والتحليل والمقارنة كسمة من سمات الموسوعات التي ظهرت في ذلك العصر.

٥) شرح غامض كتب المصنفين الأوائل ؛لجعل الثقافة عامة جماهيرية، ولقصور الناس عن فهم اللغة العربية.

---

١. ينظر: السيوطي وجهوده في علوم الحديث ص٥٠.
٢. اختصاراً من ابن حجر ودراسة مصنفاته ١/٥٢ إلى ٥٧، مع التحرز من كلمة التراث، فإن العلم ليس بتحف أثرية.

٦) إن تلك الكتب الشارحة والمؤلفات التي ظهرت تعتبر مهمة؛ بدليل اعتماد الباحثين عليها في الوقت الحاضر.

٧) ظهرت طوائف من العلماء أغنوا العلم والحضارة الإسلامية بمصنفاتهم، وظهر علماء في الحديث والفقه والقرآن والنحو والبلاغة، وعلوم أخرى.

٨) امتاز العصر بالاهتمام الواسع من قبل العلماء بتاريخ التراجم الذي تجلت فيه عبقرية المسلمين في التدوين التاريخي، والجمع بين السير والأخبار السياسية والعامة والمحلية لذلك العصر، كما امتازت الكتابات التاريخية بالشمول والإحاطة، كما ظهرت تراجم أعيان قرن كامل مثل كتاب الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة للحافظ لابن حجر[١]، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع للحافظ السخاوي[٢].

---

١. شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلان شيخ الإسلام وأمير المؤمنين في الحديث، ولد سنة ٧٧٣، وتوفي سنة ٨٥٢ هـ صاحب فتح الباري. انظر ترجمته في الضوء اللامع ٢/٣٦، شذرات الذهب ٧/٢٧٠.

٢. شمس الدين أبو عبد الله وأبو الخير، محمد بن عبد الرّحمن السخاوي الإمام الحافظ المسند، ولد سنة ٨٣١، وتوفي سنة ٩٠٢ هـ، انظر ترجمته في الضوء اللامع ٨/٢، شذرات الذهب ٨/١٥.

٩) تأكد اتجاه يقوم على أساس الترجمة لشخص واحد مع استيفاء البحث عن حياته، كما فعل الإمام السخاوي في ترجمة شيخه ابن حجر، وترجمة شيخه الكمال ابن الهمام[١].

١٠) وأضيفُ إليها أيضاً ظهور محاولات لجمع السنة النبوية كما فعل الإمام السيوطي[٢].

---

١. كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي ثم السكندري العلامة الفقيه المحقق الحنفي، ولد سنة ٧٩٠، وتوفي سنة ٨٦١ هـ، وترجم له السخاوي في مؤلف خاص اسمه: الاهتمام بترجمة الكمال بن الهمام، انظر ترجمته في الضوء اللامع ٨/١٢٧، حسن المحاضرة ١/٤٧٤، وطبقات الحنفية للسخاوي مخطوط الورقة ١٥٦ ـ١٥٧، واسم المؤلَّف الذي كتبه السخاوي في ابن حجر: الجواهر والدرر.

٢. جلال الدين عبد الرّحمن بن أبي بكر السيوطي الإمام خاتمة الحفاظ والمحدثين، ولد سنة ٨٤٩، وتوفي سنة ٩١١هـ انظر ترجمته في حسن المحاضرة ١/٣٣٦، الضوء اللامع ٤/٦٥، وانظر جهد الإمام السيوطي في جمع السنة كتاب أستاذنا الدكتور بديع السيد اللحام: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي وجهوده في الحديث وعلومه ط:دار قتيبة.

الفصل الثاني:

وفيه الترجمة الشخصية لابن عادل:

أولاً: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته.

ثانياً: مولده ونشأته ووفاته.

ثالثاً: حياته العلمية: وفيه يدرس الآتي:

١. شيوخه.

٢. تلامذته.

٣. مؤلفاته.

٤. مذهبه الفقهي.

٥. شخصيته العلمية ومنزلته بين العلماء.

الترجمة الشخصية

أولاً: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته[1]:

هو أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني.

وقد تفرد صاحب السحب الوابلة وكناه بأبي الحسن، ولم يذكر غيرها؛ وهي خلاف ما تعارف عليه الناس في من اسمه عمر؛ خاصة في عصر المماليك؛ فعلى فرض صحة هذه الكنية يمكننا القول: ربما كانت له كنيتان: الأولى هي أبو حفص، والثانية: أبو الحسن، ولكن ابن عادل يشتهر بالأولى أكثر.

---

١. انظر: ذيل التقييد للفاسي ٢/٢٤٨، السحب الوابلة لابن حميد ٢/٧٩٣، نيل السائرين في طبقات المفسرين صـ٢٤٣، مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٢٠/٨٣١، مقال بعنوان: ترجمة مفقودة، للأستاذ راغب الطباخ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢/٥٦٨، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٦/٤٦٦، كشف الظنون ٢/١٥٤٣، هدية العارفين ١/٧٩٤، الأعلام للزركلي ٥/٥٨، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة للمحبي ت: الحلو ٦/٣٤٧، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية صـ١٥ العدد ١٧ رجب ١٤١٧ بعنوان: ابن عادل وتفسيره اللباب في علوم القرآن، للدكتور محمد عبد الرحمن الشايع، ومنه عن معجم الدراسات القرآنية لابتسام الصفار ص٣٣٢، طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي ص ٤١٨، ومعجم المفسرين لعادل نويهض ص ٣٩٨.

٢. معجم الدراسات صـ ٣٣٢.

والمشهور في لقبه: سراج الدين، غيرأنه ورد بلقب زين الدين في معجم الدراسات القرآنية[1] وعند محقق نفحة الريحانة[2]، ونسب ذلك إلى معجم المؤلفين، ولكن الذي في معجم المؤلفين أنه سراج الدين[3]، ولقبه بزين الدين خلاف المشهور، والله أعلم.

وأما نسبه النعماني، فهي نسبة إلى (نعمان)، ولها أوجه في ضبطها:

⇐ إما بضم النون وسكون العين "نُعْمان" فهي اسم مشترك لثلاث مدن وهي:

- النُّعمانية: وهي بلدة عل شط دجلة بين بغداد وواسط في نصف الطريق، وأهلها شيعة غالية[4].

- النُّعمانية: وهي قرية بمصر[5].

---

١. معجم الدراسات صـ ٣٣٢.
٢. نفحة الريحانة ٥/ ١٠، في الحاشية.
٣. معجم المؤلفين ٢/ ٥٦٨.
٤. معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/٣٣٩، ت عبد العزيز الجندي، ط دار الكتب العلمية، الأنساب للسمعاني ٥/٥٠٩، ت عبد الله عمر البارودي، ط دار جنان، لب اللباب في تحرير الأنساب للسيوطي ٢/٢٩٩، ت محمد أحمد وأشرف عبد العزيز، ط دار الكتب العلمية
٥. معجم البلدان ٥/٢٣، مختصر رب الأرباب لما أهمل في لب اللباب من واجب الأنساب ٢/٣٨٨ لعباس محمد المدني، ماحق بكتاب لب اللباب للسيوطي

ـ نُعمان، وهي معرّة النعمان[1]، وهي مدينة كبيرة من بلاد الشام بين حلب وحماة[2]، ولكن المشهور والمعروف في النسبة إليها بـ (المعري)، ولم أجد من نسب إليها بالنعماني.

أقول: وقد تكون نسبة النُعماني ـ بضم النون ـ إلى النعمان بن بشير الصحابي الجليل ـ وستأتي ترجمته ـ، فتكون من قبيل بيان نسبه الذي يرجع إليه، كما تقول: عمري وبكري، لا إلى بلدٍ ولد فيه، أو رحل إليه والله أعلم

⇐ أو بفتح النون وسكون العين، فنسبة أيضاً إلى عدة مدن ومواضع في الحجاز وبلاد الشام[3]:

ـ نَعمان، بلد في بلاد الحجاز.

ـ نعمان: واد يسمى نعمان الأراك، وهو بين مكة والطائف.

ـ واد لهذيل على ليلتين من عرفات.

ـ واد يسكنه بنو عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، بين أدناه ومكة نصف ليلة.

---

١. معجم البلدان ٥/٣٣٩.
٢. معجم البلدان ٥/١٨٢.
٣. انظر معجم البلدان ٥/٣٣٩، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله البكري ٤/١٣١٦ ت مصطفى السقا ط عالم الكتب بيروت (د، ت)

ـ واد قرب الكوفة من ناحية البادية.

ـ واد قريب من الفرات على أرض الشام قريب من الرحبة. وكذلك إلى عدة مواضع كثيرة في اليمن[1]، ولا أرى داعياً لذكرها لاستبعاد كونه منها. وقد ذهب محققو اللباب المطبوع إلى أنه منسوب إلى النعمانية - بضم النون - وهي البلدة بين بغداد وواسط وأنه دخل إليها واستوطن فيها فنسب إليها[2]. ولكن هذا بعيد؛ لكون هذه البلدة قد عرف أهلها بأنهم شيعة غالية ؛ولايظهر التشيع هذا في ابن عادل من خلال تفسيره، فابن عادل حنبلي المذهب، ويقرر المسائل العقدية والأصولية على مذهب أهل السنة والجماعة، ولو كان هذا الترجيح صحيحا لظهر أثر البيئة التي عاش فيها في تفسيره لتأثره بالمحيط الذي نشأ فيه والله أعلم.

وذهب الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع إلى أنها

---

١. انظرها في معجم البلدان ٥/٣٣٩، معجم المدن والقبائل اليمنية، إبراهيم أحمد القحفي ص ٤٣٦،٤٣٥، ط منشورات دار الحكمة، صنعاء ١٩٨٥، وانظر فتح رب الأرباب ٢/٣٨٨.

٢. اللباب ١/٢١ المقدمة ط دار الكتب العلمية، ولم يذكروا دليلاً لما ذهبوا إليه.

نسبة إلى نُعمان - دون أن يضبطها - البلدة الشامية، وجعل نسبة الدمشقي قرينة على ذلك[1]، وظاهر كلامه أنه يريد معرة النعمان. ولكن هذا أيضا مستبعد لأن النسبة إلى معرة النعمان تكون بقولك (المعري) ولا نعلم أحدا نسب إلى معرة النعمان بالنعماني. والذي أراه ـ إن كانت نسبة النعماني لبلدة ـ أن يكون ضبطها بفتح النون وسكون العين، نسبة إلى واد قريب من الفرات على أرض الشام قريب من الرحبة[2]، وأن ابن عادل ينسب إليها أصالة، ويقوي ذلك نسبة "الدمشقي" المصطحبة لاسمه. وأستبعد أن يكون من مصر لأن شيوخه من بلاد الشام كما سيأتي، هذا مع العلم أن عصره كان فيه فحول العلماء والمحدثين في مصر ؛فلو كان من مصر لقدمت نسبة النعماني على الدمشقي كما هي عادة المؤرخين في تقديم النسب الأصلي ثم نسب البلد التي نزل بها، ولو

١. مجلة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ص١٦، العدد ١٧، ١٤١٧، ١٩٩٦.
٢. وهي رحبة مالك بن طوق، بينها وبين دمشق ثمانية أيام، ومن حلب خمسة أيام، وإلى بغداد مئة فرسخ، وإلى الرقة نيف وعشرون فرسخاً، وهي بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات أسفل من قرقيسيا، قال البلاذري: لم يكن لها أثر قديم وإنما أحدثها مالك بن طوق التغلبي في خلافة المأمون. انظر معجم البلدان ٣/٣٤ ط دار الفكر ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أحمد بن علي القلقشندي ص ١٧٧ ط دار الكتب العامية أولى ١٤٠٥، ١٩٨٤.

رحل إلى مصر لذُكر لنا شيخ من شيوخه على الأقل، فيتعين أن يكون من بلاد الشام.

هذا كله إذا قلنا بأنه منسوب إلى بلدة، استنادا لما نقل أنه ورد في آخر الجزء الأول من تفسيره الموجود في المكتبة الأحمدية بحلب: (جمعه وعلقه لنفسه عمر بن علي بن عادل النعماني منشأً، الحنبلي مذهباً)[1].

ولكن الذي في النسخة الأحمدية في الصفحة الأخيرة من الجزء الأول [الورقة٢٩٧/آ] أنه: (النعماني نسباً، الحنبلي مذهباً)، وكذلك أيضا جاء في غلاف الجزء الثالث من نسخة تشستربتي [الورقة ١/ب] أنه: (النعماني نسباً، الحنبلي مذهباً).

وعليه فتكون هذه النسبة إلى النعمان بن بشير[1] ،فيكون ضبطها بضم النون وسكون العين.

---

١. كما نقل ذلك الأستاذ راغب الطباخ رحمه الله في مقاله في مجمع العلمي العربي ٢٠/٣٨١، وتبعه عليه الدكتور محمد الشايع في مجلة الإمام محمد بن سعود ص ١٦.

٢. النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري الخزرجي، أول مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهراً، كان قاضي دمشق بعد فضالة بن عبيد، واستعمله معاوية على الكوفة، وكان خطيبا مفوهاً بارعاً، ثم نقله معاوية إلى إمرة حمص ثم دعا بعد موت معاوية بن يزيد إلى ابن الزبير، ثم دعا إلى نفسه، ثم قتل سنة ٦٥هـ، انظر الإصابة ٣/٥٥٩.

أقول: والذي أميل إليه أنه النعماني نسباً، ويكون ابن عادل منسوباً إلى الصحابي الجليل النعمان بن بشير رضي الله عنه الذي كان قاضيا في دمشق، وهذا مايرجح أن ولادة ابن عادل كانت بدمشق، ويكون بذلك أصله خزرجي من بلاد الحجاز والله أعلم.

ثانياً: مولده ونشأته ووفاته:

تمهيد:

وكما هو معلوم فإن المصادر التي ترجمت لابن عادل لا تفيدنا شيئا عن مولد ابن عادل أو وفاته أو ما يخص حياته، إلا ماذكره صاحب السحب الوابلة بأن ابن عادل من أعيان القرن الثامن أو التاسع دون جزم منه لأحدهما ـ كما سيأتي نصه ـ وجعله صاحب طبقات المفسرين في فصل الأئمة والمشايخ المفسرين الذين لا يوجد تاريخ لوفاتهم ولا لمولدهم في الطبقات والتواريخ[1]، ولكن ولذلك سنحاول معرفة تاريخ تقريبي لمولده ووفاته من خلال

١. طبقات المفسرين لأحمد الأدنه وي صـ ٤١٧، ٤١٨.

استقراء شيوخه وتلامذته، ومعرفة تراجمهم[1].

أولاً ـ مولده ونشأته:

إن جل شيوخ ابن عادل دمشقيون، ومن خلال معرفة مولدهم ووفاتهم وتاريخ روايتهم نستنتج تاريخا تقريبيا لولادته وبيان هذا بالآتي:

ـ شيخه محمد بن علي بن ساعد ولد سنة ٦٣٧ وتوفي سنة ٧١٤ هـ في القاهرة

ـ شيخته وزيرة بنت عمر بن المُنجَّا ولدت سنة ٦٢٤ وتوفيت سنة ٧١٦ في دمشق

ـ شيخه أحمد بن أبي طالب المعروف بابن الشحنة النجار توفي سنة ٧٣٠ هـ، ولكن أظهر سماعه ورواياته في دمشق سنة ٧٠٦ هـ.

فمن خلال عرض وفيات شيوخ ابن عادل يتبين لنا أنه كان أهلاً لسماع الحديث في بداية القرن الثامن، ومن خلال دراسة تراجم شيوخ ابن عادل ؛نستنتج أنه ولد في أواخر

١. أنبه على أن التراجم التي سأذكرها هنا من شيوخه وتلامذته مختصرة بما يتوافق مع الدراسة، وستأتي تراجمهم كاملة مع المصادر عند ذكر شيوخ وتلامذة ابن عادل.

القرن السابع، وعلى وجه أقرب بعد سنة ٦٧٥ هـ على الأقل، وبما أن المسندة وزيرة توفيت في دمشق سنة ٧١٦، والحافظ ابن الشحنة توفي في دمشق سنة ٧٣٠، فإن ذلك يدل على أن ابن عادل كانت نشأته ونشاطه العلمي في دمشق، على اعتبار السن المتوسط الذي يؤهله للسماع والتلقي.

وأما ابن ساعد ؛ فأرى أن ابن عادل سمع منه في دمشق، لأن ولادة ابن ساعد كانت في حلب ـ كما سيأتي ـ ووفاته في القاهرة، فيكون ابن عادل سمع من ابن ساعد أثناء طريق رحلته إلى القاهرة ومروره بدمشق معجم الطبراني الكبير، وهذا يعني أيضاً أن ابن ساعد مكث في دمشق مدة، مما يدل على بعد خروج ابن عادل من دمشق والله أعلم.

ثانياً: وفاته:

كذلك نسلك في معرفة وفاة ابن عادل مسلكنا في معرفة ولادته، ولكن لا بد من الإشارة إلى ما قيل في وفاة ابن عادل ممن ترجم له، إذ أن بعض المصادر تذكر أنه كان حياً سنة ٨٨٠ هـ، اعتماداً على أنه وجد مكتوب في آخر تفسير سورة طه أنه فرغ من تفسيرها في رمضان سنة ٨٨٠ هـ كما في الأعلام[١]، بل جعل صاحب نيل السائرين وفاته في سنة ٨٨٠[٢]، ولكن الجزء الذي في الأحمدية الذي أوله سورة التغابن إلى آخر القرآن يقول إنه فرغ من كتابته سنة ٨٧٦[٣] هـ، وفي هدية العارفين ومعجم المؤلفين أنه فرغ من تفسيره كاملاً في رمضان ٨٧٩[٤] هـ.

وفي ما مر من الاضطراب ما يغني عن رد القول بأنه توفي سنة ٨٨٠ أو بعد، بل أقول: إن ذلك دليل على أن ما وجد في أواخر النسخ؛ إنما هو تاريخ نسخ الكتاب من النساخ

---

١. الأعلام ٥/٥٨.
٢. نيل السائرين ص ٢٤٣.
٣. كما نقل ذلك الأستاذ راغب الطباخ في مجلة المجمع العلمي العربي ٢٠/٣٨٣.
٤. هدية العارفين ١/٧٩٤، معجم المؤلفين ٢/٥٦٨.

وفراغهم منه، و أما صاحب السحب الوابلة فقد تردد في تحديد عصر ابن عادل؛ أهو من القرن الثامن أم التاسع، ثم قال: (وهو من رجال أحدهما بلا شك)[1]، ولم يذكر له تاريخ وفاة.

ونعود الآن إلى المنهج الذي سلكناه قبلُ في معرفة ولادة ابن عادل؛ لنتعرف على تاريخ وفاته من خلال معرفة تلامذته:

- علي بن أبي بكر الهيثمي، ولد سنة ٧٣٥، وتوفي سنة ٨٠٧، سمع من ابن عادل أجزاء من معجم الطبراني الكبير، ولا أشك في أنه سمع من ابن عادل أثناء رحلته إلى دمشق، ومما يؤكد ذلك أن الهيثمي صحب شيخه العراقي - وستأتي ترجمته - بالغاً، ولم يفارقه سفراً ولا حضراً، وهناك ما يفيد أن العراقي والهيثمي كانا في دمشق بعد سنة ٧٥٠، ففي ترجمة عز الدين، أبي الفضل، محمد بن إسماعيل بن عمر ابن الحموي الدمشقي الثقة

---

١. السحب الوابلة ٢/٧٩٣.

الصالح[1] المتوفى سنة ٧٥٧ هـ، ذكر الفاسي[2] في ذيل التقييد أن العراقي زينَ الدين سمع منه في جامع دمشق كتاب السنن الكبير للبيهقي من أوله إلى آخر كتاب الإيلاء، وأن الحافظين زين الدين العراقي ونور الدين الهيثمي أكثرا عنه[3]، وبما أن الهيثمي صحب العراقي بالغا؛ فلا ضير أنه كان بالغاً في سنة ٧٥٠ لأن ولادته سنة٧٣٥ ؛وأنه كان مع شيخه العراقي في رحلته هذه ؛وأنه سمع من ابن الحموي وأكثر عنه في هذه الرحلة؛ وأنه في أثناء هذه الرحلة التقى بابن عادل وسمع منه معجم الطبراني الكبير، وكان ذلك ما بين سنة ٧٥٠ وسنة ٧٥٧، وأظن أنه لو كان هناك معجم لشيوخ العراقي لوجد ابن عادل من بينهم[4].

ويضاف إلى ما مر أن ابن عادل نقل في تفسيره هذا كتاب

---

١. انظر ترجمته: العبر للذهبي ٤/١٧٢، البداية والنهاية ١٤/٢٥٥، ذيل التقييد للفاسي ١/١٠١.
٢. محمد بن أحمد الفاسي المكي ولد سنة ٧٧٥ هـ وتوفي سنة ٨٣٢ هـ وستأتي ترجمته.
٣. ذيل التقييد ١/١٠٢.
٤. وأشير أن لولد العراقي أحمد بن عبد الرحيم العراقي كتاب في ترجمة والده عبد الرحيم بن الحسين، وهو: تحفة الوارد بترجمة الوالد، انظر الضوء اللامع ١/٣٤٣.

الدر المصون كاملاً، وقد فرغ السمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) من تأليفه في أواسط رجب سنة (٧٣٤ هـ)[١]، فلا بد أن يأخذ وصول الكتاب إلى ابن عادل وقراءته وقتاً، وكذلك جمع المعلومات ونسخها وتبييضها يأخذ وقتاً طويلاً أكثر من عشرين عاماً، وعليه فإنه يمكن القول أن ابن عادل كان حياً إلى سنة ٧٥٠ هـ يقيناً، وأما وفاته فيغلب على الظن أنه توفي قبل سنة ٧٧٥ هـ، فهو من أعيان القرن الثامن الهجري يقيناً، وأما ما ذكر أن التقي الفاسي من تلامذته ؛ فإني ممن يستبعد ذلك، وسيأتي الكلام على ذلك عند الكلام على تلامذته.

ثالثاً: حياته العلمية:

١ـ شيوخه:

تذكر لنا المصادر من شيوخ ابن عادل:

ـ محمد بن علي بن ساعد بن إسماعيل بن سليم بن ساعد، شمس الدين، أبو عبد الله المحروسي الخالدي

---

١. انظر الدر المصون ١/ ١٦، المقدمة.

الرقي الأصل، المشهدي، ولد بحلب سنة (٦٣٧ هـ)، وسمع بها[١].

قال في ذيل التقييد: (وروى عن الحافظ أبي الحجاج يوسف بن خليل الأدمي الحلبي[٢] قطعة جيدة من المعجم الكبير للطبراني .....، وسمعه على ابن ساعد القاضي عز الدين ابن جماعة سنة اثني عشرة، أو ثلاث عشرة وسبع مئة)[٣].

وعلى هذا يكون ابن عادل سمع من ابن ساعد قبل سنة ٧١٢ هـ، وقد ذكر الهيثمي في مقدمة مجمع الزوائد أن ابن عادل سمع من ابن ساعد عن يوسف بن خليل معجم الطبراني[٤].

توفي ابن ساعد في القاهرة سنة ٧١٤ هـ رحمه الله.

ـ أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن بن علي بن بيان،

---

١. انظر ترجمته في ذيل التقييد ١/١٧٩ ـ١٨٠، والدرر الكامنة ٤/ ١٨٢.
٢. يوسف بن خليل بن عبد الله الأدمي، شمس الدين أبو الحجاج الحلبي محدث دمشق الرحال، كان من حفاظ الحديث البارعين، ولد سنة ٥٥٥ هـ، وت سنة ٦٤٨ هـ، بحلب، انظر ذيل التقييد ٢/ ٣١٩، العبر ٣/٢٦٢.
٣. ذيل التقييد ١/
٤. مجمع الزوائد ١/ ١٥٣، وقد ذكر الهيثمي ذلك في معرض بيانه لأسانيده إلى معجم الطبراني.

شهاب الدين، أبو العباس، الديرمقرني ثم الصالحي الحجار، المعروف بابن الشحنة[1]، مسند الدنيا ورحلة الآفاق، الشيخ الكبير المعمَّر الحافظ، ولد في حدود سنة ٦٢٢، وعمِّر حتى ألحق الأحفاد بالأجداد، وحدث بصحيح البخاري أكثر من سبعين مرة بدمشق وغيرها، ورحل إليه الحفاظ من البلاد وتزاحموا عليه، وأظهر سماعه بدمشق في سنة ٧٠٦ هـ، ففرح بذلك المحدثون وأكثروا السماع منه، ولما مات في سنة ٧٣٠ هـ نزل الناس بموته درجة.

وقد ذكر التقي الفاسي[2] أن ابن عادل سمع منه صحيح البخاري خلا أربعة مواعيد من أوله، ولاريب أنه سمع منه بعد سنة ٧٠٦ هـ، أي بعد إظهار الحجار سماعه بدمشق.

- ست الوزراء، وزيرة بنت عمر بن أسعد بن المنجا، وجيهة الدين، أم محمد، الدمشقية الحنبلية، مسندة الوقت

---

١. انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٤/ ١٥٠، ذيل العبر ٤/ ٨٨.
٢. ذيل التقييد ٢/٢٤٨.

الوقت الحافظة[1]، ولدت سنة ٦٢٤ هـ، وحدثت بدمشق ومصر مرات، وحجت مرتين، كانت طويلة الروح على سماع الحديث، وكانت من روايات صحيح البخاري[2]، وكانت من الصالحات، توفيت في شعبان سنة ٧١٦ هـ.

وقد ذكر التقي الفاسي أن ابن عادل سمع منها من صحيح البخاري.

- وورد في السحب الوابلة ما نصه: (وأظنه ينقل عن أبي حيان بقال شيخنا[3].)

أقول: من خلال تتبعي لقسمي من التفسير فإني لم أجده ينقل عن أبي حيان بـ: "قال شيخنا"، بل وجدته ينقل عنه بقال أبو حيان، وعلى فرض صحة كلام ابن حميد في السحب الوابلة؛ فإن هذه العبارة (قال شيخنا) هي عبارة الدر المصون ؛لأن السمين الحلبي ينقل عن أبي حيان بـ: "قال شيخنا"، وابن عادل ينقل عن كتاب السمين: الدر المصون؛ فتكون هذه عبارة الدر المصون - إن وجدت في

١. انظر ترجمتها في العبر ٤/٤٤، البداية والنهاية ١٤/٨٩، ذيل التقييد ٢/٣٩٦، الدرر الكامنة ٢/٢٢٣.
٢. ذيل التقييد ١/١٨٠.
٣. السحب الوابلة ٢/٧٩٣.

في اللباب ـ نقلها ابن عادل عنه والله أعلم.

ولا بد لي أن أذكر أن ابن عادل كان في عصر وبلد اشتهر فيه جماعة من العلماء الأئمة الدمشقيين،، كابن تيمية (٧٢٨هـ)، وابن عبد الهادي (٧٤٤هـ)[١]، والذهبي (٧٤٨هـ)، وابن القيم (٧٥١هـ)[٢]، وابن كثير (٧٧٤هـ)،فلربما كان لابن عادل ببعضهم صلات علمية، أو بغيرهم من أهل بلده وعصره ولكن لا نملك دليلاً على ذلك، والله أعلم.

٢ ـ تلامذته:

ـ علي بن أبي بكر بن سليمان، نور الدين، أبو الحسن الهيثمي القاهري، الشافعي الإمام الحافظ، نشأ فحفظ القرآن، ثم صحب الزين العراقي وهو بالغ، ولم يفارقه سفراً ولا حضراً حتى مات، بحيث سافر معه في كل رحلاته، وحج معه جميع حججه، ورافقه في جميع

---

١. محمد بن أحمد بن عبد الهادي الإمام العلامة، شمس الدين، أبو عبد الله المقدسي الدمشقي الصالحي، ولد سنة ٧٠٥ وتوفي سنة ٧٤٤ هـ انظر ذيل تذكرة الحفاظ صـ ٤٩.

٢. محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي الحنبلي أبو عبد الله، الإمام العلامة المحدث ذو الفنون والتصانيف الكثيرة توفي سنة ٧٥١ هـ، انظر ذيل العبر ٤/١٥٥، شذرات الذهب ٦/١٨٦.

مسموعه بمصر والقاهرة والحرمين، وبيت المقدس ودمشق وبعلبك وحماة وحلب وطرابلس وغيرها، وشيوخ الهيثمي هي نفس شيوخ العراقي، لم ينفرد الهيثمي عن العراقي من الشيوخ بغير صحيح مسلم على ابن عبد الهادي، وهو مكثر سماعا وشيوخاً، كثير الاستحضار للمتون جيداً، وكان هيناً ديناً، خيراً محباً لأهل الخير، لا يسأم ولا يضجر من كتابة الحديث، ولد سنة ٧٣٥ هـ، وتوفي سنة ٨٠٧ [١] هـ.

وقد ذكر الهيثمي في مقدمة مجمع الزوائد - في معرض بيان سنده لمعجم الطبراني -؛ أنه قرأ على ابن عادل من معجم الطبراني[٢]

- وبما أنه قد مر النص أن الهيثمي لم ينفرد عن العراقي بأحد من الشيوخ غير ابن عبد الهادي[٣] وأن الهيثمي

---

١. انظر انباء الغمر ٥/٢٥٦، الضوء اللامع ٥/٢٠٠، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ لابن فهد ص ٢٣٩، ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي ص٣٧٢، شذرات الذهب ٩/١٠٥ ط: دار ابت كثير.
٢. مجمع الزوائد ١/١٥٣.
٣. وكذلك تذكر مصادر ترجمة الهيثمي أن العراقي لم ينفرد عن الهيثمي من الشيوخ بغير ابن الباب والتقي السبكي وابن شاهد الجيش، وهذا مما يؤكد أن العراقي أخذ أيضاً مع الهيثمي من ابن عادل والله أعلم.

شارك العراقي في جميع رحلاته ولم يفترق عنه سفراً ولا حضراً ؛ وتأكد أنهما كانا في دمشق قبل سنة ٧٥٧ هـ ؛ فإني أرى أن يضاف الإمام العراقي إلى تلامذة ابن عادل، وقد قلت من قبل أنه لو وجد معجم لشيوخ العراقي لربما وجدنا ابن عادل من بينهم.

وهو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر، زين الدين، أبو الفضل العراقي، الإمام الكبير الشهير حافظ العصر ولد سنة ٧٢٥ هـ، تقدم في فن الحديث بحيث صار علماء عصره يبالغون في الثناء عليه بالمعرفة، وكانت أماليه يمليها من حفظه متقنة مهذبة محررة كثيرة الفوائد الحديثية، توفي الشيخ رحمه الله سنة ٨٠٦ هـ[١].

ـ ويذكر صاحب السحب الوابلة أن التقي الفاسي هو من تلامذة ابن عادل فيقول: (وروى عنه التقي الفاسي بعض المرويات)[٢].

وهو محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب

---

١. انظر ترجمته مستوفاة في إنباء الغمر ٢/١٧٠، الضوء اللامع ٤/١٧١، ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٧٠.
٢. السحب الوابلة ٢/ ٧٩٣.

الفاسي ثم المكي، المالكي، مفيد بلاد الحجاز وعالمها، وقاضي المالكية بمكة، الإمام الحافظ المؤرخ، ولد سنة ٧٧٥، وتوفي سنة ٨٣٢ هـ[١]

أقول: أستبعد أن يكون التقي الفاسي من تلامذة ابن عادل ؛لعدة أسباب ألخصها بالآتي:

- ⇐ أن التقي الفاسي ولد بمكة ثم رحل إلى المدينة، وكانت ولادته سنة ٧٧٥ هـ، أي: بعد أقصى مدة لحياة ابن عادل على ما مر من الترجيح في تاريخ وفاته
- ⇐ أن التقي الفاسي لم يذكر في ذيل التقييد أنه أخذ عن ابن عادل في معرض ذكره لترجمة ابن عادل، وعادة الفاسي أن يذكر في ترجمة شيخ أنه أخذ عنه إن كان قد أخذ عنه.
- ⇐ بعد دراسة طويلة وتتبع لترجمة الفاسي، ودراسة لرحلاته إلى دمشق، وعمّن أخذ من الشيوخ في كل رحلة ؛ تبين لي أن التقي الفاسي كانت له أربع رحلات

١. انظر ترجمته في إنباء الغمر ٥/١٨٧، الضوء اللامع ٧/١٨، الروض الباسم لتلميذ التقي الفاسي: أحمدِ بن عمر الدمشقي الشهير بابن قرا (٨٦٨) هـ، مخطوط، من الورقة ٩٣ إلى ١٠٦، مكتبة الأسد، تاريخ (رقم ٣٨٦٣)، لحظ الألحاظ ص٢٩١

إلى دمشق:

الرحلة الأولى كانت سنة ٧٩٨، من القاهرة إلى دمشق لسماع الحديث[١].

الرحلة الثانية كانت سنة ٨٠٠، في جمادى الآخر، ثم انطلق من دمشق إلى الحج[٢].

الرحلة الثالثة كانت سنة ٨٠٢، وكانت مع الحافظ ابن حجر.

الرحلة الرابعة كانت سنة ٨٠٦[٣].

إذن كانت أول رحلة للفاسي بعد أقصى مدة لوفاة ابن عادل- على ماتبين لنا سابقاً - بثلاث وعشرين سنة.

ثم إني لم أجد ـ إضافة لما مر ـ من شيوخ الفاسي ذكّر ابن عادل من بينهم والله أعلم[٤].

---

١. ابن قرا، الورقة ٩٥/ أ.
٢. ابن قرا، الورقة ٩٦/ أ.
٣. انظر الرحلة الثالثة والرابعة: ابن قرا الورقة ٩٦ /ب.
٤. هذا مع العلم أن تلميذ الفاسي: ابن قرا ترجم له ترجمة مستفيضة اعتمد عليها كل من ترجم للفاسي من بعده كالسخاوي وابن فهد وذكر في كل رحلة للفاسي إلى دمشق جميع الشيوخ الذين أخذ منهم، والمخطوط مكتوب بخط المؤلف، ولكن الخط سيئ لا يكاد يقرأ إلا بشق الأنفس.

٣ ـ مؤلفاته:

وتذكر لنا المصادر من مؤلفات ابن عادل:

ـ هذا التفسير الموسوعي الكبير: اللباب من علوم الكتاب.

ـ وتفرد صاحب السحب الوابلة وذكر أن لابن عادل حاشية على المحرر في الفقه الحنبلي[١].

٤ ـ مذهبه الفقهي:

تجمع المصادر التي ترجمت لابن عادل، وكذلك ما هو مكتوب على النسخ الخطية للتفسير على أن ابن عادل حنبلي المذهب، ويؤيد ذلك ما ذكره صاحب السحب الوابلة أن لابن عادل حاشية في الفقه الحنبلي على كتاب المحرر لابن تيمية، ولكن هل تظهر شخصيته الفقهية في المذهب الحنبلي في كتابه التفسير؟.

من خلال تتبعي لابن عادل في القسم المخصص لي من التفسير؛ لم أجده يقرر مذهب الحنابلة من خلال آيات الأحكام التي يمر عليها، أو يذكر مذهبه من كتاب حنبلي عندما يذكر الأحكام والاختلافات الفقهية، بل كل ما

---

١. السحب الوابلة ٢/٧٣٩.

ينقله من ذلك ؛ إنما ينقله من القرطبي ومن الرازي، اللهم إلا في موضعين:

الأول: وأحسبه من قوله هو، عند الآية [٩] من سورة الحجر[١] عند كلامه على سبب جمع الصحابة للمصحف مع أن الله قد تكفل بحفظه، وجوابه عليه بأن جمعهم للمصحف هو من أسباب حفظ الله، قال: (وفي الآية دلالة قوية على أن البسملة آية من أول كل سورة سورة ؛ لأن الله تبارك وتعالى قد وعد حفظ القرآن والحفظ لا معنى له إلا أن يبقى مصوناً من الزيادة والنقصان، فلو لم تكن التسمية آية من القرآن لما كان مصوناً عن التغيير والزيادة ...) إلى أن قال: (وهذا لا دليل فيه لأن أسماء السور أيضاً مكتوبة معه في المصحف، وليست من القرآن بالإجماع.)، فقوله: وهذا لا دليل فيه.. إلخ من كلامه، لم أجده ـ بحسب بحثي وتتبعي ـ منقولاً من كتاب.

الثاني: في تفسير سورة الإسراء / الآية١٥ عند كلامه في مسألة: هل يعذب الميت ببكاء أهله عليه ؟ نقل فيها نصاً عن ابن تيمية، وعن القاضي أبي يعلى الحنبلي[٢].

---

١. اللباب ١/.
٢. اللباب ٣/.

٥ ـ شخصيته العلمية ومنزلته بين العلماء:

لابد من إلقاء الضوء على شخصية ابن عادل العلمية من خلال تفسيره الذي بين أيدينا لنتعرف هذه الشخصية التي انتابها شيء من الغموض.

صحيح أن ابن عادل غلب عليه النقل من غيره في تفسيره هذا ـ كما غلب هذا الأمر على أهل عصره أيضاً كما مر بيانه ـ ولكن الكتاب الذي بين أيدينا لَيبين لنا أن ابن عادل عالم؛ له النفس الطويل والصبر على الكتابة والتأليف؛ مع حسن سياسة للمادة العلمية التي بين يديه، فإن اختيار النصوص المناسبة، وترتيبها وتنسيقها بالشكل الذي يجعلها كلاً مترابطاً لا تشعر من خلاله بفارق أو تباين في الكلام؛ ينبئ عن ملكة علمية قوية، ومحاكمة عقلية سليمة، تشير إلى تمكنٍ في مجالات علمية مختلفة، فإن ابن عادل استطاع أن يربط بين الشرح اللغوي والإعراب والمعنى وأقوال السلف الصالح، مع ذكر الاستدلالات الفقهية المستفادة أو المستنبطة من الآية المفسَّرة، والكلام على الآيات الكونية مستفيدا من

المعارف العلمية في عصره التي نقلها من الرازي مع حسن اختصار لها بما يتناسب مع المقام.

فاهتمام ابن عادل بالآيات الكونية، واستطراد الكلام عليها وشرحها والاستدلال بها بما يتوافق مع مقصد القرآن الكريم من هداية العالمين لوجود الخالق سبحانه وتعالى ووحدانيته وبيان عظمته وحكمته ؛ لدليل واضح على وجود اتجاه فكري جدلي يتمتع به.

واهتمام ابن عادل باللغة والإعراب والاستطراد أيضاً في بيان أوجه الإعراب في الآية ومناقشتها ومحاكمتها ليؤكد اتجاهاً علمياً يعشقه ابن عادل ويستعذبه، وله فيه باع. ثم اهتمامه رحمه الله ـ كما سيأتي ـ ببيان الأحكام الفقهية وغيرها، واهتمامه بالتفسير بالمأثور، وربط الجميع بصياغة متناسقة متتالية ؛ ليدل على سعة ذهنية، وامتلاك لمعرفة علمية في أصول التفسير وما يُحتاج إليه.

وإن إطالة النفس في ذلك واستيعاب الآية المفسرة من جميع جوانبها، ليدل على هدف يريد ابن عادل أن يحققه، ولعله كان يريد أن يجمع أمهات التفسير المشهورة المتداولة في زمنه في كتاب واحد، ليكون تفسيره هذا هو العمدةَ، والموسوعةَ التي يكتفي بها مريد معرفة التفسير، وحقاً لقد صار ابن عادل مضرب المثل في

طول الباع في التفسير والمثابرة عليه، ففي ترجمة أبي الوفا[1] ذكر المحبي[2] أبياتاً مُدح فيها أبو الوفا ومنها[3]:

له الباع في التفسير ضاهى ابن عادل وحيث روى الأخبار تدعوه يحصب

وكذلك صار ابن عادل مقياسا للعلماء في البراعة في التفسير، فهذا المحبي يمدح محمداً الكواكبي[4] بقصيدة طويلة، وفيها يقول:

إذا فسروا والتفت الساق بينهم ودارت رحاهم في دقيق التشاعب

فما عدلوا منه بمثل ابن عادل ولا فخروا بالفخر عند الثعالبي

وفي رسالة لأبي الحسن البكري أرسلها إلى يحيى المنقاري

---

١. محمد بن عمرو بن عبد الوهاب العرضي الحلبي الشافعي، مفتي الشافعية بحلب وابن مفتيها، ولد سنة ٩٩٣ هـ، وت سنة ١٠٧١ هـ، اشتغل بالتدريس والإفتاء والتأليف، انظر الأعلام ٦/ ٣١٧.

٢. محمد أمين بن فضل الله المحبي الحموي الأصل، الدمشقي المولد، صاحب خلاصة الأثر في أعيان القرن الثالث عشر، ونفحة الريحانة ورشحة طلى الحانة، وغيرهما، أديب مؤرخ، ولي قضاء القاهرة، توفي في دمشق سنة ١٢١١هـ، انظر الأعلام ٦/٠٤١

٣. نفحة الريحانة ٥/١٠، والأبيات لعلي بن الأوجلي، وقوله يحصب: لعله يريد القاضي عياض بن موسى اليحصبي ت ٥٤٤ هـ.

٤. محمد بن حسن بن أحمد الكواكبي الحلبي، ولد سنة ١٠١٨ هـ، وتوفي سنة ١٠٩٦ هـ، انظر الأعلام ٦/٩٠

يلغز له فيها ويعرض، ذاكر له فيها كثيراً من الكتب المشهورة، فقال: (اللهم إني أسألك بأسرار التنزيل التي فاقت البحر والنهر، ويسرت بمعالم تنزيلها المدارك ؛لتسهيل السبيل إلى كل سؤدد وفخر، وقضيت بكشف معارفها عن كشاف عوارفها لمن أصبح عادلاً وابن عادل ...).

وكذلك فإن نساخ التفسير أجادوا بالثناء والوصف المطنَب على ابن عادل، ففي نسخة الظاهرية آخر الجزء الثاني [ق ٤٨٧ / ب] قال الناسخ: (تم الجزء الثاني من كتاب تفسير القرآن العظيم تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة والعمدة الحبر الفهامة، وحيد دهره وفريد عصره، الفاضل الأكمل والمتبحر الأمثل: ابن عادل ....).

وفي أول نسخة طوبقبوسراي من المخطوط كتب الناسخ: (الجزء الأول من اللباب في تفسير الكتاب العزيز، تأليف الإمام العلامة الرحلة الفهامة، إمام المحدثين وترجمان المعبرين، الإمام ابن عادل الحنبلي ...)[1].

١. كما نقل ذلك عنها في مجلة الإمام محمد ابن سعود صـ ٢٧، ورقم النسخة (٧٢٤٢).

أقول: أما إمامته وتقدمه في التفسير فإن التفسير الذي بين يدينا، وما مر من الكلام على قدرته العلمية فيه، حتى صار مضرب المثل في التفسير؛ يشهد له بذلك، وأما وصفه رحمه الله بالرحلة وإمامة المحدثين ... فإن في النفس منها شيأً، وذلك لعدة أسباب أوجزها بالآتي:

- إن الذين يصفونه بهذه الأوصاف ليسوا ممن عاصروا ابن عادل أو خالطوه حتى تبين لهم ما عنده من دراية علم الحديث الذي استحق عليها هذه الألقاب وإن كانت له رواية فيه[1].

- لا ينكر أن لابن عادل اشتغالاً في الحديث من حيث الرواية، خاصة وأن شيوخه من الأئمة الذين يُقصدون، وتُشد إليهم الرحال في الحديث، كابن الشحنة وست الوزراء، فابن عادل محدث - هذا إذا قلنا بأن المحدث في عصرهم من كانت له رواية للحديث ولا يشترط كونه

---

١. أما النسخة الظاهرية فناسخها الشيخ عبد القادر بن عمر التغلبي الشيباني الدمشقي من فقهاء الحنابلة، له تصانيف في الفقه الحنبلي والتصوف، توفي سنة ١١٤٦ هـ، انظر الأعلام ١/٤١، أي أنه توفي بعد ابن عادل بنحو ثلاثمئة سنة. وأما ناسخ طوبقبو سراي فهو يحيى بن محمد الحنفي توفي سنة ٩٨٧ هـ أي بعد ما يقارب مئتي سنة من وفاته.

عارفاً بالحديث دراية ـ ودليله ما قلته قبل، وأيضاً رواية الهيثمي عنه لمعجم الطبراني، ولكن أن يوصف بأنه إمام المحدثين وأن له الرحلة في ذلك فهذا محل النزاع عندي، إذ كيف يورِد من كان في هذا الوصف وهذه المنزلة، أحاديث موضوعة في كتابه، بل إن منها أحاديث معروفة ومشهورة عند المحدثين بالوضع، ويعتمد في ذلك النقلَ من القرطبي أو الرازي دون اعتراض أو إشارة إليها،أو تحقيق فيها ولله أعلم.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول: دراسة عصر ابن عادل من النواحي الثلاث	٦
أولاً : الناحية السياسية.	٨
ثانياً : الناحية الاجتماعية.	١٠
ثالثاً : الناحية العلمية.	١١
الفصل الثاني: وفيه الترجمة الشخصية لابن عادل	١٨
أولاً : اسمه ونسبه ولقبه وكنيته.	١٩

ثانياً: مولده ونشأته ووفاته.	٢٤
ثالثاً: حياته العلمية: وفيه يدرس الآتي:	٣٠
١. شيوخه.	٣٠
٢. تلامذته.	٣٤
٣. مؤلفاته.	٣٩
٤. مذهبه الفقهي.	٣٩
٥. شخصيته العلمية ومنزلته بين العلماء.	٤١

فهذه دراسة لترجمة ابن عادل الدمشقي الحنبلي صاحب تفسير اللباب من علوم الكتاب، كنت قد اشتغلت فيها لأجل إنجاز رسالة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من جامعة أم درمان، إذ كانت الرسالة في تحقيق جزء من تفسير ابن عادل وقد اجتزأتها من قسم الدراسة من رسالة الماجستير وجعلتها في هذا الكتيب مع بعض التعديلات الطفيفة ليتسنى للأخوة الباحثين النظر فيها خاصة بعدما كثر الاهتمام بتفسير ابن عادل، وقد بذلت جهدي في أن آتي بالجديد في ترجمة ابن عادل ولا أدعي مع ذلك أن ما توصلت إليه هو النهاية في البحث ، فما تجده من صواب فهو من توقيق اللّه وفضله وما أخطأت فيه فمن تقصيري .